نقاء العنصر. ولقد دعا الحاخامون في الغيتوات، خلال القرون الوسطى، الى ممارسة ضروب مختلفة من التمييز بين اليهودي وغير اليهودي، استناداً الى مفهوم «شعب الله المختار» الذي «فضله الله على سائر الشعوب». ولقد توسّع في التركيز على هذا المفهوم الشاعر اليهودي الاندلسي يهودا بن هاليفي (من القرن الثاني عشر للميلاد) الذي ألّف كتاب «الخزري»، وتطرّق فيه الى الزواج المختلط معتبراً اياه عصياناً لله تحل عقوبته في الاولاد والاحفاد. ومن الواضح ان أفكار بن هليفي لعبت دوراً كبيراً في صوغ الروح الصهيونية، ولوحظت آثارها في كتابات مارتن بوبر.

وفي الغيتوات، حيث عاش اليهود قروناً عدّة في عزلة، وبتأثير نفوذ الحاخامين، مورس منع الزواج من الاغيار، ومنع انتقال الاملاك والعقارات الى ملكية غير اليهود. وهذا ما طبقته الوكالة اليهودية في فلسطين(٥٧).

وجاءت نظرية داروين التي تتمحور في فكرة تنازع البقاء وبقاء الاصلح، فتأثر بها المنظّرون العنصريون الذين نادوا بالصحة العرقية، التي دعا اصحابها الى المحافظة على نقاء العنصر بالفصل.

وكما تأثرت الصهيونية بالنقاء العرقي والتفوّق السلالي، كذلك تأثرت النازية بالتمسّك بالاصل والنقاوة والتفوّق. غير ان الجانبين لم يأخذا بالداروينية في جانبها المتعلق بامكانية تطور الانسان والمجتمع نحو الافضل؛ لكنهما تمسّكا بفكرة بقاء الاصلح، وتحسين النوع، وبقاء العرق. واعتزّ الصهيونيون ببقاء اليهود قروناً طوالاً؛ وعزوا ذلك الى تفوّق العنصر اليهودي وصلاحه للبقاء(٥٨).

انتشر هذا الوباء العنصري في اوروبا، فأمدّ الصهيونية بزخم في مقولاتها العنصرية. فلقد تشكّلت في المانيا، في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر، نزعة عنصرية لاسامية اعطاها اساساً ايديولوجياً كتاب العنصري الفرنسي الكونت دي غوبينو عن «اللامساواة بين الاعراق البشرية»، الذي أُصدر في العام ١٨٦٥. وفيه، ان شعوب العالم القديم انقرضت بسبب اختلاط دمها بدماء الشعوب الاخرى. وخلص الى تفوّق الجرمانيين لعدم اختلاط دمهم. كما ظهر كتاب «اسطورة القرن العشرين» لجوزف تشمبرلن، الذي أُصدر في العام ١٨٩٩، وكان الكاتب تخلّى عن هويّته البريطانية وحصل على الجنسية الالمانية. وملخّص «اسطورته» ان الواقع الرئيس في التاريخ المعاصر هو يقظة الشعوب الجرمانية التي لها رسالة فرض قوانينها على الشعوب الاخرى(٥٩).

من الواضح، ان النازية، في مقولتها العرقية القائمة على عدم التساوي بين الاجناس البشرية وتفوّق العرق الجرماني الآري، تأثرت بهذا التيار العرقي العنصري، تماماً كما تأثرت الصهيونية في تنظيرها بصفاء العرق اليهودي وعدم التساوي بين الاجناس البشرية، فزعمت ان بقاء اليهود يعود الى محافظتهم على نقاء دمهم. ولقد كان مارتن بوبر من أبرز المفكرين الصهيونيين الذين تأثروا بالمقولة العرقية. على ان بوبر لم يكن الاول ولا الاخير. فقد ارسى منظرو الصهيونية وباء العنصرية لبنة اساسية في ايديولوجيتهم. فالدكتور الصهيوني آرثر روبين عزا تفوّق اليهود الاوروبيين على اليهود الشرقيين الى حرصهم على التزوج ببنات الحاخامين وفقهاء التلمود واللاهوت، ممّا أدّى الى تفوّقهم. والمفكر الصهيوني موشي هس أكّد في كتابه «روما واورشليم» ان «الفوارق بين الاعراق المختلفة موروثة، وأبدية، وحتمية، ولا يمكن معالجتها أو تخطيها». وفي بروسيا، ظهرت مدرسة المؤرخين البروسيين، بقيادة فون ترتشكه. «وقد أكد هؤلاء الفروق العرقية، وتمايز الاعراق، وتخلّف الزنوج والاقوام الملوّنة، وأبدية هذه الفروق». ولقد أثرت هذه الافكار في الايديولوجيا العنصرية الصهيونية»(٦٠).